جناسات ثلاثية

من الجناس الذى ظفرت به فى أساس البلاغة ما جاء بين ثلاثة ألفاظ، وهو قليل، أو أقل من القليل بالنسبة إلى غيره، وكنت من قبل أقرأ الشاهد الذى ذكره الخطيب القزوينى فى (رد العجز على الصدر) وهو قول الثعالبى :

وإذا الْبَلاَ بِلُ أَفْصَحَتْ بلغاتها فَانْفِ الْبَلا بِلَ باحتساءِ بَلاَبِلِ

فالأولى جمع بلبل، وهو الطائر المعروف، والثانية جمع بلبال وهو الهم، والثالثة جمع بلبل، وهو قناة الإبريق الذى يصب منها الخمر، ونحوه[1]. وألحظ أن فيه تجانساً بين كلماته الثلاث، حتىّ هيأ الله لى أن أجد هذه الجناسات الثلاثية، ولا شك أن لها فى النفس وقعا حسنا، ويزداد الكلام معها حلاوة، وطلاوة.

ومن هذا النوع ما أورده الزمخشرى بين دابة (سمحة) أو (جمحة) أو (رمحة) فى قوله : «وتقول هذه دابة سمحة، ما بها جمحة، ولا رمحة»[2] فالكلمات الثلاث لم تختلف إلا فى الحرف الأول – كما هو ظاهر – والدابة الرمحة كما ذكر فى موضع آخر هى العضاضة فقد قال : «ورمحته الدابة، ودابة رماحة عضاضة، ورموح عضوض»[3].

ومن هذا الضرب ما ذكره بين (لَسِنٌ) و(لقن) و(لحن) فى قوله : «وهو لحن بحجته فهم فطن بها يصرفها إلى أى وجه شاء، وفلان لَسِن لَقِنٌ لَحِنٌ»[4] والاختلاف بين هذه الكلمات فى حرف واحد، وهو جناس مزدوج متصل، أو مردد – كما سبق.

ومنه ما أتى به فى قوله«نعوذ بالله من الجور، ومن الحور بعد الكور»[5] فهذه الألفاظ مختلفة فى الحرف الأول، والحور النقصان كما ذكره الزمخشرى فى

---

(١) الإيضاح، وبغية الإيضاح/ ٨٩.
(٢) أساس البلاغة (جمح).
(٣) المصدر نفسه (رمح).
(٤) نفسه (لحن).
(٥) نفسه (حور).

قوله: «أعوذ بالله من الحور بعد الكور، والباطل فى حور وهو النقصان»[1] والكور هو الزيادة[2].

ومنه ما أشار إليه بين (الْحُبَى) و(الظُّبَى) و(الزُّبَى) فى قوله: «... وضربه بظبة السيف قال:

وضعنا الظُّبات ظُبَاتِ السيوف على مَنبِتِ الْقَمل مِنْ بَاهِلَهْ

وتقول حلوا الحبى، وأخذوا الظبى، حين بلغ السيل الزبى»[3] فهذه الكلمات الثلاث اختلفت فى الحرف الأول - الحاء - والظاء - والزاى - ومعلوم - أنه لا عبرة فى الجناس بلام التعريف.

ومفهوم من كلامه أن الظُّبَة حد السيف[4] والجمع ظبات أيضاً، وقد جاء ذلك فى بيت السموءل يفتخر:

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

والزبى جمع (زُبْيَة) وهى حفرة يصاد بها السبع، والرابية العالية التى لا يعلوها الماء وفى المثل بلغ السيل الزبى إذا اشتد الأمر[5] والحبى الاحتباء يقال حل فلان حبوته، ما يحتبى به من ثوب، وغيره[6] ومنه قول يزيد بن مسلمة يصف فرسا له:

وإذا احتبى قربوسه بعنانه عللك الشكيم إلى انصراف الزائر[7]

ومعنى عبارة الجناس - على ما يبدو - أن المتحدث عنهم نهضوا من قعودهم، وأخذوا سيوفهم الماضية الحادة، حين اشتد الأمر وضاق الصدر، وبغى الخصم.

ومنه ما جاء فى قوله: «فلان يشبه التيس، ليس يظهر الكيس، ولا يطعم الحيس، وأصل الحيس الخلط»[8].

الاختلاف - كما لا يخفى - فى الحرف الأول، وهذا جناس متكلف، يبدو عليه العسف إذ لا رابطة بين معانى هذه الكلمات.

---

(١) نفسه (حور).
(٢) نفسه (كور).
(٣) أساس البلاغة (ظبى).
(٤) المعجم الوجيز (ظبى.
(٥) ينظر أساس البلاغة، والمعجم الوجيز (زبى).
(٦) المعجم الوجيز (حبو).
(٧) الإيضاح مع البغية/ ١٢٧.
(٨) أساس البلاغة (حيس).